الصِلات الثقافية للمهاجرين الليبيين في مصر في النصف الأول من القرن العشرين

د. إبراهيم علي الشويرف

المقدمة :

لم يكن المهاجرون الليبيون في مصر أفرادا فارّين وهاربين، بل كانوا عناصر فعالة وكيانا مترابطا منظما تجمعهم قضية واحدة هي قضية تحرير الوطن من الاحتلال وإنقاذه من الأطماع الأوروبية التي ظهرت بعد خروج الطليان.

وظهر خطر جديد في صفوف هؤلاء المهاجرين وهو خطر الفرقة والانقسام بفعل السياسة البريطانية قبل بدء الحرب الثانية، عندما عقد البريطانيون تحالفا مع السنوسيين، والذين شرعوا للسنوسيين في أخذ البيعة للسيد محمد بن إدريس السنوسي، وإعداد جيش من المهاجرين والقبائل الليبية الموجودة في مصر لمساعدة الحلفاء في الحرب[1].

وظهرت بين المهاجرين الليبيين كتلتان، أو اتجاهان ، الاتجاه البرقاوي المؤيدة للسنوسيين، والاتجاه الطرابلسي التي اعتبر عقد البيعة للسيد محمد بن إدريس السنوسي استباقا للحوادث، وأن الكلمة يجب أن تجتمع حول مطلب واحد هو إخراج إيطاليا من ليبيا، وكان على رأس الجبهة الطرابلسية احمد المريض وأحمد السويحلي، واستمرت هذه الخلافات من سنة 1939م إلى ما بعد تحرير ليبيا، وبرغم تعدد الاجتماعات بين زعماء

الجالية البرقاوية الطرابلسية في الإسكندرية والقاهرة، فإن هذه الخلافات لم تحسم، بل كانت تهدأ حينا ثم تتجدد بصورة أكبر.

واتسعت هوة الخلاف بعد أن كوَّن الأمير السنوسي جيشا من القبائل المهاجرة إلى مصر وسماها بالقبائل السنوسية البرقاوية، وكأنها لا تمثل ليبيا كلها، وكأن الطرابلسيين لا وجود لهم، كما أنه وافق على مساعدة الإنجليز بلا قيد ولا شرط مما اعتبره الطرابلسيون تفريطا في حقوق الشعب الليبي.

وقد اجتمع الطرفان الليبيان في فيكتوريا بالإسكندرية في أكتوبر سنة 1939م، واتفقوا على تشكيل المجلس الاستشاري الأعلى للنظر في كل ما يمس شؤون البلاد، ويشاطر السيد محمد إدريس اتخاذ القرارات عن طريق الشورى، لكن هذا المجلس لم يعمر طويلا، وتجاهله الحلفاء بعد انتصارهم، ولم تعد لديهم حاجة لكسب تأييد الزعماء الطرابلسيين في المهجر، وظهرت نية بريطانيا في تمزيق أوصال الوطن الليبي عن طريق إعطاء البرقاويين استقلالهم مقابل التضحية بطرابلس وفزان لتصيرا مستعمرتين إنجليزية وفرنسية. وسارع الطرابلسيون بتأسيس (اللجنة الطرابلسية) في القاهرة في اكتوبر سنة 1943م، وقد جاء في رسالة هذه الجمعية: (إن المهاجرين الطرابلسيين منذ أن نزلوا مصر وهم يفكرون في مصير بلادهم، وكثيرا ما حاولوا أن يُكَوِّنوا لجنة أو جمعية للدفاع عن قضيتهم، ولكن النفوذ الإيطالي في البلاد الشرقية كان يحول دون تنفيذ هذه الرغبة، فنشط جماعة من هؤلاء المهاجرين يكتبون عن فظائع الطليان في طرابلس وينشرون ما يكتبون بأسماء مستعارة، وقد جاءت الفرصة لإعلان هذه الجمعية للتعبير عن رغبات الطرابلسيين في تقرير مصير بلادهم .

وقد جرت في القاهرة مفاوضات بين اللجنة الطرابلسية برئاسة بشيرالسعداوي والسيد محمد إدريس بمبادرات متعددة، منها مبادرة الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود في 27 مايو سنة 1946م.

وقد حاول البعض تفتيت موقف الطرابلسيين وتشتيت صفوفهم فنشئت لجنة جديدة لتكون ندا للجنة الطرابلسية، وهي: (الجبهة الوطنية المتحدة) تحت إشراف الإدارة العسكرية البريطانية في طرابلس الغرب في 10 مايو 1946م، وظهرت المقترحات الفرنسية بإبقاء ولاية طرابلس تحت الإدارة الإنجليزية، مما دفع سائر الأطراف الليبية إلى التفكير في قضية واحدة هي تحرير بلادهم ووحدة أراضيها، وتخلى أكثرهم عن مواقف المعارضة ووافقوا على إمارة السيد محمد إدريس حرصا على وحدة البلاد واستقلالها، وكان القرار الذي اتفقوا عليه: (أن تكون له الإمارة طول حياته مادام صالحا للحكم، وأن يكون الحكم وفق دستور يضعه ممثلون ينتخبهم الشعب)، وتم الاتفاق على ذلك في 14 يونيو سنة 1946م في اجتماع أعضاء الجالية الطرابلسية البرقاوية في القاهرة .

وقد أعقب هذا الاجتماع مفاوضات في برقة لحل الخلافات بين البرقاويين والطرابلسيين ولكنها رغم الجهود الكبيرة التي بذلت لم تحقق النجاح، ولذلك قام السيد/ بشير السعداوي بتأسيس هيئة تحرير ليبيا للمطالبة بمبدأ واحد وهو استقلال ليبيا بحدودها التي كانت موجودة عليها قبل الحرب العالمية الثانية، ثم الانضمام إلى جامعة الدول العربية، وواصلت جهودها حتى تحقق الاستقلال التام.

وكان بعض الطلاب الليبيين الأزهريين يستقرون في مصر، ويتخذونها وطنا ثانيا حتى آخر حياتهم، وولد كثير من الليبيين في مصر خلال فترة الاحتلال والهجرة مما يدل على حدوث تزاوج ومصاهرة بين الليبيين والمصريين.

واشتغل محمد الهادي انديشة (1912م) ولفترة بالتدريس في الأزهر بعد تخرجه منه بضع سنين، وكان تلميذا للشيخ حسنين مخلوف والشيخ حبيب الله الشنقيطي، وكان من رواد دار الحكمة بالقاهرة، وهي مؤسسة ثقافية علمية شهيرة، والتقى بالعقاد وطه حسين وأحمد أمين ومحمود شلتوت وغيرهم من أعلام الفكر في مصر .

وقد تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مباحث :

تناول المبحث الأول المشكلات التي واجهها المهاجرون الليبيون في مصر ، أما المبحث الثاني فهو الحياة الثقافية في ليبيا قبل عودة هؤلاء المهاجرين بينما تناول المبحث الثالث تأثير المهاجرين العاديين في مصر في الحياة الثقافية في ليبيا.

المبحث الأول : المشكلات التي واجهها المهاجرون الليبيون في مصر:

لم تكن حياة المهاجرين الليبيين مفروشة بالورود دائما، بل كان هناك ما يعكر صفوها في بعض الأحيان، وأول هذه المشكلات الحنين القوي إلى الوطن والأهل ومراتع الصبا، والأسى لما يصيبه على أيدي جلاديه القساة، وذلك ما عبر عنه شاعر الوطنية أحمد رفيق المهدوي (ت 1961م) في قوله:

يا من على البعد نهواه ويهوانا لشد ما شفّنا شوق فأضنانا

ذكرى عهود الهوى باتت تساورنا يا من يبلغ للأحباب شكوانا

وقوله:

ما خيّم الليل إلا بات يقلقنا شوق إذا رقد السمّار ناجانا

نحنّ شوقا إلى أوطاننا فإذا تبسّم البارق الغربي أبكانا[1]

وكانت الحكومة الإيطالية تطارد المجاهدين الليبيين الفارين إلى مصر، وتضغط على الحكومة المصرية لتسليمهم لها، ومن هؤلاء الوفد الطرابلسي الذي حضر إلى مصر لعرض قضية بلادهم سنة 1924م، فاحتجزتهم السلطات المصرية في مدينة الحمام في الساحل الشمالي، وأرادت أن تسلمهم إلى الإيطاليين، ولكن الإنجليز رفضوا، وانتهى الأمر بمنعهم من الإقامة في مصر، على أن يسمح لهم بالسفر إلى أي بلد يشاؤون.

وكان في الوفد الطرابلسي : عثمان علي القيزاني، فرحل إلى تركيا، وحصل على جواز سفر تركي، ودفعه الحنين إلى مصر إلى العودة إلى الإسكندرية بعد عامين سنة 1926م، وكان يلتقي بإخوانه المهاجرين والتجار وطلاب العلم في محل لهم بشارع ميدان الإسكندرية يملكه أحمد غلبون وأحمد الفيتوري، ثم رحل إلى القاهرة والتقى بشيخه أحمد الرجيبي الطرابلسي، وكان شيخ رواق المغاربة في الأزهر، ثم اضطر إلى الهجرة إلى الفيوم خوفا من السطات؛ لأنه كان ممنوعا من السفر، وكان له أقارب كثيرون بالفيوم من ترهونة ومصراته، وانتهى بترحيله إلى تركيا مرة أخرى[2].

([1]) ديوان رفيق شاعر الوطنية الليبية – عنى بنشره محمد الصادق عفيفي – القاهرة 1959م – من ص23 إلى ص29.

([2]) محمد سعيد البوجديدي: روايات الجهاد – رواية الشيخ محمود المسلاتي المسجلة شفويا – ص168.

وقد تواجه المهاجرين في بعض الأوقات إجراءات أمنية مشددة تتخذ قبلهم من جهة الحكومة المصرية وقوات الاحتلال الإنجليزي، مثلما حدث عند زيارة ملك إيطاليا فكتور عمانويل الثالث، وزوجه الملكة هيلانة إلى مصر، ووصولهما إلى الإسكندرية في العشرين من فبراير سنة 1933م حتى مغادرتهما مصر بعد ثلاثة أسابيع في 9 مارس سنة 1933م، وقد شكا المهاجرون الليبيون من صرامة الإجراءات التي اتخذت ضدهم من قبل الحكومة المصرية وقتذاك من أجل المحافظة على سلامة الملك الإيطالي وقرينته.

وقد وصف أحمد السويحلي أشتيوي هذه الإجراءات الصارمة في رسالة منه إلى صديقه بشير السعداوي مؤرخة في الثلاثين من مارس سنة 1933م، وكان السويحلي في الإسكندرية، بينما كان السعداوي في الشام، قد ذكر السويحلي كيف اقتحمت الشرطة بيوت المهاجرين وفتشتها وقبضت على بعضهم على سبيل الاحتياط، ثم أطلقتهم بعد انتهاء الزيارة، وقال: إن بعضهم مكث في الحبس من 15 فبراير إلى 10 مارس أي 23 يوما[1].

وفيما عدا هذه الحادثة لم يلق الطرابلسيون من مصر وأهلها إلا كل حفاوة وتكريم، ومارسوا نشاطهم السياسي وحياتهم الاجتماعية بحرية تامة، وشاركهم أبناء مصر ومفكروها في الدفاع عن قضية بلادهم.

المبحث الثاني : الحياة الثقافية في ليبيا قبل عودة هؤلاء المهاجرين:

(1) د. محمد فؤاد شكري (أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة): ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها – الجزء الأول من سنة 1945 إلى 1947 – المجلد الأول ص891.

كانت ليبيا طوال عصورها الإسلامية عامرة بالثقافة زاخرة بالعلماء وتمثل ذلك في: حلقات العلم والأدب المنتشرة في المساجد والزوايا، في سائر المدن والقرى والنواحي، ومن أبرزها جامع طرابلس الأعظم ومسجد الشعاب في الضاحية الجنوبية الشرقية من مدينة طرابلس ومسجد علي بن عبد الحميد العوسجي بمدينة الزاوية غربي طرابلس وجامع أحمد باشا بالمدينة القديمة بطرابلس .

وكانت الزوايا منتشرة في أنحاء ليبيا منذ عهود مبكرة مثل الزاوية المستنصرية، وزاوية أولاد سهيل، وتعددت المكتبات العامة وأشهرها خزانة نفوسة في الجبل الغربي من ليبيا التي تضم آلاف الكتب النفيسة[1].

وإذا كانت الحياة الثقافية في ليبيا قد تراجعت في العهود العثمانية الأولى فإنها نشطت في أواخر العهد العثماني الثاني في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وانتشرت الكتاتيب والمدارس الدينية في المناطق الساحلية، أما في البوادي والصحارى، فظهر الأدب الشعبي والثقافات المحلية ، واتجه بعض الولاة إلى إصلاح التعليم وتطويره مثل الوالي أحمد راسم باشا (1882–1896م) ونامق باشا، ومحمد حافظ، وحسن حسني، ورجب باشا (1904–1908م)، وأنشئت مدرسة الفنون والصنائع ومدرسة للبنات، وانتشرت الزوايا على نطاق واسع في الجهات الشرقية من ليبيا وتنافس من أبناء

(1) الطيب علي سالم الشريف: الصحافة الأدبية في ليبيا منذ الحرب العالمية الثانية حتى العقد الأخير من القرن العشرين – مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية – سلسلة الدراسات الأدبية – الطبعة الأولى سنة 1430هـ/2000م – جـ1 ص40.

القبائل في طلب العلم حتى سميت قبيلة البراعصة بقبيلة الطلبة من أجل حبهم للعلم، ونبغ العديد من الشعراء والعلماء[1].

وفي أواخر القرن التاسع عشر بدأت إيطاليا تتدخل في الحياة الثقافية الليبية تمهيدا لاحتلال ليبيا، وحصلت منذ وقت مبكر على امتيازات من الدولة العثمانية تسمح لها بإنشاء المدارس الإيطالية في ولاية طرابلس الغرب وكانت لإيطاليا في عام 1876م/1293هـ ثماني مدارس تهدف إلى نشر اللغة الإيطالية والديانة المسيحية، وقد أقبل الطرابلسيون على تعلم اللغة الإيطالية، لكنهم لم يقربوا كنائس الإيطاليين على الإطلاق كما ورد في تقرير البعثة الإيطالية المختصة بهذه المدارس[2].

واستمرت إيطاليا في نشر مدارسها وتكثيف الدعاية لها، وقام اليهود الفرنسيون بدورهم بإنشاء مدارس خاصة بهم في ليبيا لتعليم جالياتهم.

وسعت ليبيا إلى الاحتفاظ بهويتها الثقافية العربية الإسلامية إزاء هذا الغزو الفكري التبشيري، وبدأت تنفتح على الثقافة العربية والعالمية في نفس الوقت، وتحذو حذو جارتيها مصر وتونس في الاتصال بالثقافات الأوروبية الأخرى كالإنجليزية والفرنسية مع توثيق الارتباط بالتراث العربي الإسلامي، والجمع بين الأصالة والمعاصرة، ووصلت أصداء النهضة الفكرية إلى ليبيا من مصر وتونس بحكم الجوار والاتصال الواسع المدى، وكان تأثير النهضة المصرية في ليبيا أعمق أثرا وأبعد مدى.

([1]) المرجع السابق ص54، 55.

([2]) المرجع السابق ص58.

وسارت النهضة الفكرية في ليبيا في نفس المسار الذي سارت فيه النهضة المصرية التي تقوم على إحياء التراث والأخذ بمظاهر الحضارة الحديثة .

واهتم الشعراء والأدباء الليبيون بنشر إنتاجهم فطبع كل من مصطفى بن زكري (ت 1918م) وعبد الله البـاروني (1912م) ديوانيهما بمصر، كما طبع أحمد النائب (ت 1914م) الجزء الأول من كتابه (المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب) في إسطنبول، وتميزت النهضة الليبية النامية بالشعر والدراسات اللغوية والدينية كما هو الشأن في الثقافة السائدة في سائر البلاد العربية.

وخلال فترة الاستعمار الإيطالي ركز الليبيون جهودهم على المقاومة والجهاد، وشغلوا عن النهضة الأدبية إلى حد ما، ولكن ما بقي الأدب الشعبي والشعر الشعبي الذي عبر بصدق عن حياة الناس وهمومهم[1].

وفي العقد الثاني من القرن العشرين ظهرت في ليبيا ثلاث عشرة صحيفة خاضعة للاحتلال، داعية إلى طلينة البلاد، وجعلها جزءا من إيطاليا، وكان المحتلون يسمون ليبيا (الشاطئ الرابع) وكمموا الأفواه، وسدوا منافذ الثقافة المطلة على ليبيا من الشرق والغرب.

وفي سنة 1919م عقد اتفاق (سواني بنيادم) [2] الذي سمح بفتح المدارس ونشر العلوم الدينية والعصرية، لكن هذه الانفراجة لم تستمر طويلا، فقد آل حكم إيطاليا إلى الفاشست في أوائل العشرينيات، وعادت سياسة الطلينة على أشدها، وبذل الفاشيون

([1]) محمد الأشهب: برقة العربية – ص142–572، الطيب علي سالم الشريف: الصحافة الأدبية في ليبيا 65/1.

([2]) ومعناها: سواني بني آدم.

محاولات مستميتة لعزل ليبيا عن مصر وسائر البلاد العربية، وكان التلبس بقراءة كتاب عربي يعد جريمة جزاؤها السجن، وكان بعض الطلاب يقرؤون خفية كتابا للمنفلوطي[1]، فداهمتهم الشرطة وألقت بهم خلف الأسوار[2].

وحرّمت إيطاليا على الليبيين مجرد النظر في المجلات التي تدخل البلاد سرّا من مصر والأقطار المجاورة، وفرضت على من يفعل ذلك عقوبات قاسية[3].

وبلغ من تعنت الإيطاليين أنهم كانوا يمنعون وصول الخطابات إلى أصحابها إذا لم تكن معنونة باللغة الإيطالية، ومنعوا الليبيين من الذهاب إلى الحج عدة سنوات بزعم انتشار الأوبئة والأمراض في الحجاز، وألزموا الخطباء بالدعاء على المنابر لملك إيطاليا عمانويل الثالث، واستكتبوا للأئمة بيانا بتوقيعاتهم جاء فيه أن الدعاء له كان بمحض إرادتهم دون تدخل من الحكومة الفاشستية، حتى امتنع كثير من الليبيين عن صلاة الجمعة في المساجد[4].

وحارب الإيطاليون الثقافة العربية وحرقوا مكتبة الكفرة التي كانت تضم أكثر من ثمانية آلاف مجلد وفرضوا لغتهم وجعلوها لغة رسمية، في الإدارات وفي الأسواق وفي

([1]) مصطفى لطفي المنفلوطي – أديب مصري نابغة في الإنشاء والأدب، ولد سنة 1872/1289م، وتوفي سنة 1343هـ/1942م.

([2]) أحمد عطية: في الأدب الليبي الحديث – دار التضامن في بيروت سنة 1973م – ص26، 27.

([3]) محمد صادق عفيفي: الشعر والشعراء في ليبيا – مكتبة الأنجلو المصرية سنة 1957 – ص21.

([4]) محمود شلبي: حياة عمر المختار ص170، 172.

الشوارع، وزادوا مدارسهم انتشارا، وفطن الليبيون إلى هذا المخطط الاستعماري الرامي إلى طمس عروبتهم ودينهم، ففضل بعضهم حياة الأمية، وقاطعوا هذه المدارس، واتجه بعضهم إلى الزوايا والمساجد النائية، أو إلى الرحلة في طلب العلم وبخاصة في مصر.

وقد صمدت الثقافة العربية الإسلامية في ليبيا رغم هذا المخطط الاستعماري، نظرا لاعتزاز الليبيين بالرابطة الإسلامية لعدم وجود أقليات دينية أو صراع طبقي في بلادهم، وكان للطرق الدينية والزوايا أثر كبير في الحفاظ على الهوية الثقافية، وكانت الطريقة السنوسية تنتشر في أنحاء برقة وعبر الحدود المصرية والأقاليم السودانية، وكانت هذه الطريقة متأثرة بالأفكار السائدة في مصر آنذاك والتي دعا إليها الإمامان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده[1].

وانهزم الإيطاليون في الحرب العالمية الثانية وخرجوا من ليبيا سنة 1943م، وانزاح الكابوس الجاثم على صدور الليبيين، وخضعت البلاد للإدارة البريطانية لمدة تسع سنوات (1943م–1951م) ثم حصلت ليبيا على استقلالها.

وبعد رحيل المحتل البغيض بدأ المهاجرون الليبيون يعودون إلى أحضان وطنهم الأم ليمارسوا دورهم في النهوض به، وإثراء الحياة الفكرية والثقافية في ليبيا.

المبحث الثالث : تأثير المهاجرين العائدين من مصر في الحياة الثقافية الليبية:

كان العائدون من الدارسين في الأزهر عماد الحركة العلمية في ليبيا في العصر العثماني الثاني، وكانوا منارة الثقافة العربية خلال فترة الاحتلال ومحاولات الطلينة وعمل

(1) جلال يحيى: العالم العربي الحديث في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين – ص625.

كثير منهم في المدارس والمعاهد والزوايا، وأنشأ بعض القادرين منهم زوايا ومدارس جديدة وعملوا فيها لنشر العلم بين مواطنيهم، كما عمل كثير منهم بالقضاء والإفتاء، ورفضوا أن يسيروا في فلك المستعمرين فأفتوا بضرورة الجهاد الإسلامي وشرعيته، وأنكروا التعاون مع المغتصبين، وتعرضوا من أجل ذلك لألوان من الضغط والتنكيل.

فكان من الأزهريين الذين عملوا بالقضاء في طرابلس الغرب أحمد سالم بن عون، وأحمد بن مفتاح المحجوب، والشيخ علي عياد، وعمر بن محمد المسلاتي، ومحمد بن محمد بن منصور البكوش، ومفتاح بن عبد الله ابن أبي العيد بن زاهية.

وممن عملوا بالتدريس في طرابلس: أحمد الفساطوي، وفرج بن عبد السلام الفيتوري، ومحمد بن منصور البكوش، وعلي بن عمر النجار، والطاهر بن محمد النعاس ، وعبد الله بن يحيى الباروني (والد المجاهد الكبير سليمان الباروني) الذي أسس بعد عودته من الأزهر زاوية في يفرن عرفت باسمه، وتوفي سنة 1912م[1].

واتسم هؤلاء العلماء بالوطنية والجرأة في الحق، ورفض الهيمنة والطلينة، وأفتى الشيخ محمد بن محمد بن منصور البكوش بتحريم التجنس بالجنسية الإيطالية سنة 1938م ولم يرهبه طغيان المستعمرين، وقد ضاق المستعمرون بآراء الشيخ عمر بن زايد بن رحومة، واتصاله المستمر بالمجهادين، فقاموا بإحراق كتبه[2].

وقد أتاحت الإقامة في مصر للوطنيين الليبيين فرصة اللقاء بالمصلحين وقادة الفكر من أنحاء العالم الإسلامي، الذين اتخذوا من القاهرة مهجرا لهم، مثل الشيخ جمال

([1]) مليطان: معجم الشعراء الليبيين ص295.

([2]) الزاوي: أعلام ليبيا ص294، ص226.

الدين الأفغاني[1] وتلاميذه، وكانت حركته جمال الدين الأفغاني تدعو إلى العودة وإلى الإسلام إلى نبعه الأول، والاهتمام بالقضايا الإسلامية، وإنشاء جامعة إسلامية، وقد لقيت أفكاره تربة خصبة في مصر وحملها من بعده الإمام محمد عبده والزعيم مصطفى كامل والزعيم محمد فريد وغيرهم[2].

وكان الهدف من الدعوة إلى إنشاء جامعة إسلامية هو إرشاد المسلمين إلى دينهم وتاريخهم وسيرة سلفهم، وأعلام حضارتهم، وتوجيه جميع الشعوب الإسلامية إلى ضرورة الاستقلال والتعاون، أما ما يروّج عن رغبة جمال الدين الأفغاني في أن يكون للمسلمين كلهم دولة واحدة فغير دقيق، ويقول رجل من أجلّ تلاميذه هو السيد محمد رشيد رضا: (لم أر شيئا من ذلك في العروة الوثقى، ولا في غيرهما مما كان يرويه الإمام محمد بعده عن جمال الدين) [3].

وكانت دروس الإمام محمد عبده في الأزهر، وكتاباته في العروة الوثقى بناءً جديداً للعقائد على أساس البراهين القطعية، وكانت له حلقة درس واسعة جدا، كما كان مدرسا

([1]) واسمه محمد بن صفدر الحسيني، ولد في أسعد آباد بأفغانستان سنة 1254هـ/1838م، ومن تلاميذه الشيخ محمد عبده، توفي سنة 1315هـ/1897م.

([2]) Goldziher جولد زيهر: دائرة المعارف الإسلامية جـ7 ص95–101، شكيب أرسلان: في حاضر العالم الإسلامي، مطبعة الحلبي بمصر جـ2 ص289–303.

([3]) السيد محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده – الطبعة الأولى، مطبعة المنار بمصر سنة 350هـ/1931م – جـ1 ص306.

للتاريخ في دار العلوم ومدرسة الألسن[1]، وقد كان لأفكاره التي تعد امتدادا لأفكار أستاذه جمال الدين كبير الأثر في المسلمين عامة، والليبيين بصفة خاصة.

ومن الذين تابعوا الحركة الوطنية في مصر وتأثروا بها الشاعر المجاهد سليمان بن عبد الله الباروني (ت 1940م)، فقد تأثر بحركة جمال الدين الأفغاني وفكرة الجامعة الإسلامية، ولم يكتف بالمشاهدة، بل شارك فيها بنفسه وقلمه، وأصدر في القاهرة سنة 1908م جريدة أسماها الأسد الإسلامي، وهاجم فيها المعتمد البريطاني اللورد كرومر[2] .

وكان سليمان الباروني صديقا لشعراء الوطنية المصريين مثل شاعر النيل حافظ إبراهيم (ت 1351هـ/1932م)، وإسماعيل صبري باشا (ت 1341هـ/1923م) الذي كان مثل الباروني رافضا لسياسة كرومر، وعندما قيل له: إن كرومر يريد أن يجعلك رئيسا للوزارة، قال: لن أكون رئيسا للوزارة وأخسر ضميري! [3]، كما كان صديقا للأديب المعروف مصطفى لطفي المنفلوطي، وقد انتقلت هذه المؤثرات الأدبية والفكرية عن طريق الباروني وغيره من المهاجرين إلى الحياة الثقافية في ليبيا.

وعندما عاد أحمد الفقيه حسن (الحفيد) من مهاجره في مصر بعد حوالي ست سنوات (من 1914م – 1920م) شارك بقوة في الحياة الأدبية والسياسية، وأسس في طرابلس النادي الأدبي سنة 1920م، ثم الحزب الوطني سنة 1946م على غرار الحزب

([1]) المرجع السابق ص135.

([2]) محمد عبد الكريم الواقي: في إضافاته لكتاب شارل فيروت: الحوليات الليبية ص876.

([3]) الزركلي: الأعلام 315/1.

الوطني الذي أنشأه الزعيم مصطفى كامل في مصر، وتولى رئاسته من بعده الزعيم محمد فريد، وتوفي أحمد الفقيه حسن (الحفيد) سنة 1395هـ/1975م[1].

وفي العقد الأول من القرن العشرين ظهرت في ليبيا المدرسة الشعرية التي تجمع بين القديم والحديث، والتي عرفت (بالتقليدية الحديثة) أو (الكلاسيكية الجديدة) والتي تلتزم بالشعر العمودي الذي يحافظ على وحدة الوزن والقافية واللغة العربية الرصينة، ويعتبر البيت الشعري وحدة القصيدة، وهذه المدرسة تعد امتدادا للمدرسة الكلاسيكية الجديدة التي بدأت في مصر على يد الشاعر محمود سامي البارودي[2] ثم تطورت على أيدي إسماعيل صبري، وعلي الجارم، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم وغيرهم، من فحول الشعراء في مصر.

وارتبطت هذه المدرسة بالأحداث في صياغة تقريرية مباشرة، وإطار محدود للتجديد، واتخذت في الشعر الليبي اتجاهين: اتجاها محليا، واتجاها قوميا إسلاميا، واتجه شعراؤها إلى نقد الواقع والدعوة إلى اليقظة والإصلاح، وأحجموا عن الأغراض القديمة كالمدح الزائف والغزل المفتعل، وكان من أعلامها: مصطفى بن محمد بن إبراهيم بن زكري (ت 1336هـ/1918م)، وسليمان بن عبد الله الباروني (ت 1359هـ/1940م)، وإبراهيم باكير (ت 1362هـ/1943م) [3].

([1]) قريزة زرقون نصر: الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث – جـ2 ص82.

([2]) أول من نهض بالشعر العربي من كبوته في العصر الحديث، ولد بالقاهرة (1255هـ/1839م) وتلقى علومه العسكرية في مصر، وشارك في عدة حروب تحت لواء الدولة العثمانية، وكان من قادة الثورة العرابية سنة 1882م، ونفي إلى جزيرة سيلان وعاد إلى مصر سنة 1899م، وتوفي سنة 1322هـ/1904م.

([3]) الطيب علي سالم الشريف: الصحافة الأدبية في ليبيا – ص65.

وتزايدت عودة المهاجرين الليبيين من مصر بعد خروج الطليان وأثناء حكم الإدارة العسكرية البريطانية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وكانت أعدادهم بالآلاف أفرادا وأسرا وقبائل، والدليل على ذلك الإحصاءات التي وردت في تقرير الإدارة العسكرية البريطانية، فقد ورد فيه أن سكان برقة وحدها تضاعفت بعد عودة المهاجرين بين سنتي 1943-1947م من 245 ألف نسمة إلى 304 ألف نسمة[1].

وقد عمل هؤلاء العائدون من مصر وغيرها من البلاد العربية والأوروبية على تعويض سنوات التخلف والظلام التي فرضها الاستعمار الإيطالي، والتي عبّر عنها تقرير صادر عن الأمم المتحدة وصف ليبيا بأنها من أشد دول العالم فقرا وتخلفا، وكانت الأمية تصل إلى 90% قبل الاستقلال[2].

وخرجت ليبيا من الحصار الثقافي الذي كان مفروضا عليها في الثلاثينيات، وانفتحت على الشرق والغرب معا، وعاد المهاجرون بعلوم وثقافات عصرية جديدة، وأقبل الليبيون بشغف على طلب العلم والثقافة[3].

وأنشأ المهاجرون العائدون مراكز ثقافية هامة مثل جمعية عمر المختار في بنغازي إلى جانب التوسع في إنشاء النوادي وإقامة الصحف والندوات ، كما اهتموا

([1]) بلدية طرابلس: تقرير الإدارة العسكرية البريطانية – دار الطباعة الحديثة في طرابلس سنة 1972م ص369.

([2]) هنري حبيب: ليبيا بين الماضي والحاضر – ترجمة شاكير إبراهيم – الطبعة الأولى – المنشأة الشعبية للنشر في طرابلس سنة 1981م – ص11.

([3]) المرجع السابق ص76.

بالمنظمات السياسية مثل الكتلة الوطنية برئاسة الأستاذ علي الفقيه حسن، والمؤتمر الوطني برئاسة الأستاذ بشير السعداوي[1].

وقد تحدثت جريدة برقة في عددها رقم 758 الصادر في يوليو سنة 1944م عن تأثير هؤلاء العائدين إلى وطنهم فقالت: (إن الثقافة العربية والإسلامية تدهورت تدهورا محسوسا، ولولا وجود بعض العناصر المثقفة من مدارس تركيا العليا، وجامعة الأزهر، والزيتونة، لكانت ليبيا أفقر من أية ثقافة عربية وإسلامية[2].

وظهر أثر هؤلاء العائدين في الإدارة وتولوا كثيرا من الوظائف والمناصب المرموقة، فكان منهم القضاة والمديرون والوظائف العليا في الدوائر المختلفة، وكان عدد الموظفين سنة 1943م نيفا ومائة في المدن وثلاثمائة وخمسين في البلاد والمناطق الفرعية، وزاد عددهم زيادة مضطردة بسبب اتجاه الإدارة البريطانية إلى الاعتماد على العرب وبخاصة المنفيين الذين عادوا إلى بلادهم، والمبعوثين للدراسة في مصر وإنجلترا بعد عودتهم[3].

وكان لعودة المهاجرين أثر طيب في النشاط السياسي أيضا، فقد اكتسب كثير منهم خبرة في النضال السياسي، وكونوا مع إخوانهم في داخل البلاد كتلة واحدة لمواجهة الاستعمار البريطاني الجديد الذي أراد أن يستقر في البلاد بعد طرد الإيطاليين، وكان لهم

([1]) المرجع السابق ص73.

([2]) قريرة زرقون: الحركة الشعرية في ليبيا – ص27.

([3]) د. مجيد خدوري: ليبيا الحديثة – دراسة في تطورها السياسي، ترجمة د. نقولا زيادة – مراجعة د. ناصر الدين الأسد – دار الثقافة في بيروت – ص59.

أثر واضح في النشاط الاقتصادي، فقد كان لبعضه خبرة ومراس ورأس مال مكنه في المساهمة في تنشيط الحركة التجارية، كما كان بينهم من يحملون شهادات علمية، وأصبحوا على مستويات ثقافية عالية، وكان لكل من هؤلاء مردود طيب انعكس على الحياة العامة في ليبيا[1].

واستمر ارتباط الليبيين بالحياة العلمية والثقافية وأحسوا أن المناهج التعليمية المصرية أقرب إليهم، ولذا سارعوا بعد خروج المحتل الإيطالي سنة 1943م إلى الأخذ بمناهج التعليم المصرية في المدارس والاستعانة بعدد من المدرسين والمدرسات المصريين لسد العجز في عدد المعلمين، وأرسلت إليهم الكتب الدراسية من مصر[2].

خاتمة

تناولت هذه الدراسة: الأنشطة الثقافية للمهاجرين الليبيين في مصر في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي معتمدة على العديد من المصادر العربية والأجنبية والوثائق الشفوية والمكتوبة، وقد توصلنا من خلال البحث والدراسة إلى عدة نتائج مهمة.

فمن نتائج هذه الدراسة أنها أوضحت التمازج الثقافي بين البلدين ، وتبين لنا من خلالها أن الهجرات الطبيعية بين قبائل الصحراء في مصر وليبيا لم تتوقف بل تزايدت في هذه الفترة، ولم تعترف بالحدود السياسية المصطنعة التي وضعها الاستعمار، وكانت

([1]) أحمد محمد القلال: سنوات الحرب والإدارة العسكرية البريطانية في برقة (1939–1949م)، ص240.

([2]) المرجع السابق ص162.

الهجرات تتم بين البلدين في صور جماعية وفردية، وأسرية، وأغلب قبائل ليبيا إلا وأصبحت لها فروع في مصر وبخاصة قبائل ورفلة وترهونة ومصراته ، وقبائل برقة.

وتبين لنا من خلال هذه الدراسة أيضا أنه كان هناك هجرات فردية تتم في اتجاه معاكس أي من مصر إلى ليبيا، كما أوضحت الدراسة أن هؤلاء المهاجرين لم يشعروا بأية صعوبات ، ولا بأنهم غادروا مواطنهم، بل أحسوا أنهم انتقلوا داخل وطن واحد يضمهم جميعا، وعاشوا مع إخوانهم يحظون بالتقدير والترحيب .

وقدمت الدراسة إحصاء بأهم القبائل والبيوت والبطون المشتركة التي كان لها فروع في البلدين، كما أشارت إلى القبائل المتنقلة والمرابطة التي يصعب دخولها في دائرة الإحصاءات.

ومن النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة في مجال العلاقات الثقافية توضيح مكانة الأزهر الشريف في نفوس الطرابلسيين وإقبالهم على الدراسة في رحابه، وكان الطرابلسيون يشكلون معظم الطلاب المقيمين في رواق المغاربة ويحظون بالرعاية والاهتمام، وقد رصدت هذه الدراسة أسماء عدد كبير من هؤلاء الطلاب وتواريخ التحاقهم بهذا الرواق.

وكانت الجامعات والمدارس المصرية الأخرى تضم أعدادا من الطرابلسيين سجلت هذه الدراسة أسماء بعضهم ونشاطهم العلمي في مصر.

وأوضحت الدراسة مدى ارتباط هؤلاء الطلاب بأساتذتهم وكيف تأثروا به،م وأفادوا منهم، واتخذوهم قدوة لهم.

وأوضح البحث نشاط هؤلاء الليبيين المهاجرين إلى مصر، وعلاقاتهم بالمثقفين المصريين، واندماجهم في الحياة العامة، وتقلدهم للمناصب والوظائف، وممارستهم للنشاط

الثقافي في صحافة، وأدب، وندوات، وطباعة، وجمعيات علمية، وصداقتهم القوية برموز الثقافة المصرية مثل: عزيز أباظة، وعباس محمود العقاد، والشيخ أحمد شاكر، والمناضل محمد فريد، وغيرهم.

وقدم البحث أمثلة للنشاط الثقافي الذي مارسه الليبيون في مصر من إصدارات وبيانات وكتب، كما أشار إلى تأثرهم بأفكار زعماء الفكر والسياسية في مصر، فكرا وأسلوبا، مثل: الزعيم مصطفى كامل، والإمام محمد عبده، والكاتب محمد فريد وجدي، والصحفي عبد الله النديم، كما تبين لنا من خلال البحث كيف واجه المهاجرون الليبيون المشكلات التي واجهتهم في مصر، مثل: مشكلة التمويل، ومطاردة المستعمرين الإيطاليين والإنجليز لهم.

وأوضح البحث الأثر الثقافي لهؤلاء الليبيين عندما عاد كثير منهم إلى وطنهم ليبيا بعد انتهاء الاحتلال البغيض، في مجالات التدريس والقضاء، والإصلاح، والأدب والشعر، فكانت أفكارهم واتجاهاتهم امتدادا للمدارس الإصلاحية والأدبية التي تأثروا بها في مصر، كما أنهم أسسوا بعض الأحزاب والصحف والمنتديات الأدبية على غرار مثيلاتها في مصر، مثل: الحزب الوطني، وجريدة اللواء الطرابلسي، كما أنهم أفادوا من مناهج التعليم في المدارس المصرية واستعانوا بأعداد كبيرة من المعلمين المصريين.

قائمة المصادر والمراجع :

ديوان رفيق شاعر الوطنية الليبية – عنى بنشره محمد الصادق عفيفي – القاهرة 1959م.

محمد سعيد البوجديدي: روايات الجهاد – رواية الشيخ محمود المسلاتي المسجلة شفويا .

د. محمد فؤاد شكري (أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة): ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها .

الطيب علي سالم الشريف: الصحافة الأدبية في ليبيا منذ الحرب العالمية الثانية حتى العقد الأخير من القرن العشرين – مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية – سلسلة الدراسات الأدبية – الطبعة الأولى سنة 1430هـ/2000م

برقة العربية ، الطيب علي سالم الشريف: الصحافة الأدبية في ليبيا .

أحمد عطية: في الأدب الليبي الحديث – دار التضامن في بيروت سنة 1973م .

محمد صادق عفيفي: الشعر والشعراء في ليبيا – مكتبة الأنجلو المصرية سنة 1957 .

جلال يحيى: العالم العربي الحديث في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين .

Goldziher جولد زيهر: دائرة المعارف الإسلامية، شكيب أرسلان: في حاضر العالم الإسلامي، مطبعة الحلبي بمصر .

السيد محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده – الطبعة الأولى، مطبعة المنار بمصر سنة 350هـ/1931م .

بلدية طرابلس: تقرير الإدارة العسكرية البريطانية – دار الطباعة الحديثة في طرابلس سنة 1972م .

هنري حبيب: ليبيا بين الماضي والحاضر – ترجمة شاكير إبراهيم – الطبعة الأولى – المنشأة الشعبية للنشر في طرابلس سنة 1981م .

د. مجيد خدوري: ليبيا الحديثة – دراسة في تطورها السياسي، ترجمة د. نقولا زيادة – مراجعة د. ناصر الدين الأسد – دار الثقافة في بيروت .